نماذج من تيار مشروع أسلمة المعرفة

Models of Islamization of knowledge stream

د. علي عدلاوي[1]، د. حبيبة شهرة [2]
[1] جامعة الأغواط (الجزائر) ، boukabcha@gmail.com
[2] جامعة الأغواط (الجزائر) ، biba.sharaf@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/06/12 تاريخ القبول: 2019/06/15 تاريخ النشر: 2020/02/08

ملخص:

برز في عقد الثمانينات الماضي تيار إسلامي يدعو إلى أسلمة المعرفة الإنسانية وتهذيب الانتاج البشري في العلوم الحديثة كي يتوافق مع الرؤية الإسلامية للحياة والكون والإنسان. تصدر هذا التيار عدد من النخب الثقافية الإسلامية وبعض مراكز البحوث والدراسات من أبرزها المعهد العالي للفكر الإسلامي الذي يتخذ من فرجينيا في الولايات المتحدة الأميركية مقراً لـ. يرى تيار الأسلمة أن المعرفة البشرية بطبيعتها منحازة للبيئة الثقافية والقيمية التي صدرت منها، وأن شتى العلوم والمعارف الإنسانية في الاجتماع والنفس والسياسة والاقتصاد وسواها إنما هي نتاج الأسس الفلسفية التي نشأ عليها الوسط المنتج لتلك الأفكار في رؤيتـ للكون والإنسان ومدى محورية العقل في ذاك المجتمع، وجاء هذا البحث قراءةنحو معرفة إسلامية وإصلاح للفكر الإسلامي وما يتوافق مع الرؤية الإسلامية من المعارف الغربية وتجنب ما هو منحاز منها وخاضع للخصوصية الثقافية الغربية ودراسة الآراء المختلفة بين مؤيد ومعارض ـول مفهوم أسلمة المعرفة.

كلمات مفتاحية: تيار، أسلمة، المعرفة، الفكر.

Abstract:

In the 1980s there was an Islamic Movement for the Islamization of human knowledge and Stimulates the human production in modern sciences in order to conform the Islamic vision of life, the universe and human. This trend is issued by a number of Islamic cultural elites and some research and studies centers, Notably the Higher Institute of Islamic Thought, based in Virginia, USA. Believes that the trend of Islamization that human knowledge by nature biased to the cultural environment and the value of which they were issued, and that the various

المؤلف المرسل: علي عدلاوي ، الإيميل: boukabcha@gmail.com

sciences and human knowledge in the meeting, psychology, politics, economy and others are the result of the philosophical foundations on which the productive medium of these ideas emerged in his vision of the universe, human and the centrality of reason in that society, this research is a study of Islamic knowledge and reform of Islamic thought, and is consistent with the Islamic vision of Western knowledge and avoiding what is biased and subject to Western cultural specificity and the study of different opinions between supporters and opponents on the concept of Islamization of knowledge.
Keywords: Stream, Islamization, knowledge, thought.

مقدمة:

إن أسلمة المعرفة ضرورة فكرية وتاريخية وهي ضرورة للناس جميعا وليس للمسلمين و□دهم من منطلق الخطاب العالمي للقرآن الكريم، فمشروع أسلمة المعرفة يمتد خارج دائرة الدين الإسلامي لكي يحتضن كل ما يتحرك في دائرة الإيمان الأصيل بو□دانية الله، وفي السّنوات الأخيرة وخاصّةً في بداية الثّمانينات من القرن الماضي ظهرت أنساقٌ فكرية كان يهدف أصحابها إلى بناء مشروعٍ إصلاحي، يبعث الأُمَّة الإسلامية فكريًّا وعِلْميًّا، ويعالج كلّ قضايا الإنسانية ويحلّ مشكلاتها، ومن هذا المنطلق وللوصول إلى هذه الغاية كان لا بدّ من استنباط أساسياتِ وقواعدِ كل العلوم، بما في ذلك علوم الاجتماع والنّفس والاقتصاد والسّياسة والإدارة وغيرها من المعارف وأسلمتها، وهو ما تكفّل بـ□ المشروع الذي أُطلِق علي□ اسم «أسلمة المعرفة»، والذي يرى أنّ العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية علوم متحيّزة، اصطبغت بلون المحيط الذي نشأت وتطوّرت في□، وما يحفل بـ□ ذلك المحيط من ملابسات، وقيم ثقافية، ومعايير منهجية، تستند إلى قراءة أ□ادية هي قراءة الكون فقط، وهذه القراءة تجسّد □الة فصام □ادّ، لأنّها تستبعد قراءة الوحي التي تتكامل بها قراءة الكون،

ولقد ساد بين كثير من المثقفين الغربيين والعرب أن هناك منهجا وا□دا يعتمد علي□ العلماء والبا□ثون عند دراستهم للظواهر الطبيعية والاجتماعية.وأن هذا المنهج يوصل إلى نتائج و□قائق موضوعية لا علاقة لها بمعتقدات البا□ث أو بفلسفت□ وآرائ□ وهذا يعني أن قضية المنهج ثابتة لا ينبغي اعتراضها أو مناقشتها، وهذه النظرة القاصرة □ول المنهج هي التي جعلت كثير من مثقفي العالم الإسلامي يتصدون ويستنكرون بشدة هذا القصور في التفكير ووقفوا مدافعين عن مشروع أسلمة المعرفة □يث أنهيجعل المرء يستبعد ذلك النّزاع بين المعارف المستقاة من الوحي، والمعارف المستقاة من الوجود، كما يجعل□ يبتعد عن تلك الثّنائيات المتصارعة □ول أفضلية معرفة عن الأخرى.

فأسلمة المعرفة بهذا المفهوم «تعني فكّ الارتباط بين الإنجاز العلمي الحضاري البشري، والإ□الات الفلسفية الوضعية بأشكالها المختلفة، وإعادة توظيف هذه العلوم ضمن ناظم منهجي ومعرفي إلهي، قائمٍ على الوحي، وغير وضعي، وهذا معناه أسلمة العلوم التّطبيقية والقواعد العلمية، بفهم التّماثل بين سنن هذه العلوم وقوانينها، وسنن الوجود وقوانينه□، وتوجيه□ هذه العلوم الوجهة الإسلامية، وتوظيفها لتحقيق المقاصد الإلهية»

وهذه الورقة البحثية هي محاولة متواضعة لإبراز ثلة ممن وقفوا مدافعين عن أسلمة المعرفة وبيان أهميتها في عصرنا الراهن والتعريف بجهودهم التي كانت منصبة على بناء نظام معرفي إسلامي معاصر من خلال التعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مباشرة بوصفهما مصدرا للفكر والمعرفة والحضارة بما يتطلب ذلك بناء أو إعادة تشكيل مناهج للتعامل معهما.

المب□ث الأول: أسلمة المعرفة من منظور المعهد العالمي للفكر الإسلامي(فرجينيا – واشنطن)

تحت شعار (نحو معرفة إسلامية وإصلاح للفكر الإسلامي) يعمل معهد الفكر الإسلامي العالمي، ومقره ولاية فرجينيا بواشنطن، تقوده عصبة من المفكرين المقتدرين من شتى أنحاء العالم، والهدف كما هو معلن من الشعار: أسلمة المعرفة، وتعني تأصيل المعرفة لتتطابق مع العقيدة الإسلامية والتشريع الإسلامي، ولكي تُنفى عن المعرفة كل المصطلحات الوثنية والمادية النفعية المكيافيلية، التي ترى في الإشباع المادي الهدف الأول، والتي تستبعد القيم الرو□ية والخلقية والغيبية.

والمعهد العالمي للفكر الإسلامي (محمد أسامة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي..المشروع والفكرة، موقع إضاءات: https: //www.ida2at.com/international-institute-of-islamic-thought-project) هو:

" منبر متميز يعمل ضمن المنظور الإسلامي لتنفيذ مشروعات الأبحاث، وعقد المؤتمرات والندوات، ونشر الكتب والدوريات العلمية المحكمة. ويتعامل المعهد مع مصادر التراث الإسلامي والمعرفة الإنسانية المعاصرة؛ لبلورة تيار فكري إسلامي متميز، يمهد لاستعادة قدرة الأمة على العطاء الفكري والنهوض الحضاري "

وقد" تأسس المعهد في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1981م ويقع المقر الرئيسي في هيرندن، فيرجينيا، في ضواحي واشنطن. وهو مستقل عن السياسة المحلية والتوجهات الحزبية والتحيز الأيديولوجي.وقد أقام المعهد روابط تعاون مع بعض المؤسسات والمنظمات في عدد من العواصم في جميع أنحاء العالم من أجل تنفيذ أنشطت□ وبرامج□ "(ينظر: الموقع الرسمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي: https: //iiit.org/ar).

المطلب الأول: أهداف المعهد ووسائله

للمعهد العالمي للفكرة الإسلامي أهداف ووسائل عدة لتحقيق مشاريعه الهادفة إلى أسلمة المعرفة وتأصيل العلوم الإنسانية والاجتماعية تحديدا:

أولا: أهم الأهداف

1. بناء رؤية إسلامية شاملة، تستهدف بلورة نظام معرفي إسلامي ومنهجية إسلامية، لمواكبة التحديات وتقويم المعارف المعاصرة.
2. بلورة منهجية تربوية قادرة على صياغة الشخصية الإسلامية الفاعلة القادرة على الأداء الحضاري الإسلامي.
3. تطوير منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي والإنساني.
4. تطوير منهجية علمية لفهم واقع الأمة والعالم المعاصر، قصد التعامل معهما في ضوء مقاصد الإسلام.
5. تطوير منهجية للتعامل مع الوحي الشريف(كتابا وسنة)، لتنزيل هدايات السماء على الواقع، وترشيد السلوكات.

ثانيا: أهم الوسائل (مدمد أسامة مرجع سابق):

1. عقد المؤتمرات والندوات والدورات العلمية المتخصصة.
2. دعم جهود العلماء الباثين في الجامعات والمراكز البحثية، واستكتابهم، ونشر أعمالهم(مثل كتاب كيف نتعامل مع القرآن للشيخ محمد الغزالي)، وترجمتها إلى لغات الشعوب الإسلامية واللغات العالمية الأخرى.
3. إعداد مشاريع بحثية وتكوين فرق بحثية، تعمل في إطار جماعي.
4. ترشيد المناهج الدراسية، بقصد التكامل المعرفي.
5. إصدار دوريات علمية متخصصة (وأهمها مجلة إسلامية المعرفة)، والتعاون مع الدوريات الأخرىذات الاهتمام المشترك.
6. ...وغيرها من الأهداف والوسائل التي تؤسس لمشروع أسلمة المعرفة وبرنامج التكامل المعرفي.

المطلب الثاني: مشروع أسلمة المعرفة

كان من أولى أولويات المعهد هو التأسيس لمشروع فضاري عالمي باسم (أسلمة المعرفة)، وخاصة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية ومواد الهوية، التي تشكل عقيدة الأمة وثوابتها، وردا على الهجمة العلمانية عن طريق وسائل الإعلام ومناهج التعليم تحديدا.

إن التركيز على تحصين الجاليات المسلمة في بلاد الغرب كان - ولا يزال - من أولى أولويات المعهد، ليث تواجهها موجات التغريب والإرهاب والعولمة، مع العمل على إدماج المسلمين في المجتمعات التي لا تدين بالإسلام، بل أكثر من ذلك تهيئة الجو للتأثير والتفاعل الإيجابي في الوسط الغربي. في جو من الوسطية والاعتدال والحوار والتواصل، وبعيدا عن التعصب والذوبان.

يقول المنظّر الأول لمشروع أسلمة المعرفة الشهيد الدكتور إسماعيل الفاروقي رحمه الله: " إن البحث الأصيل عن المعرفة لا وجود له دون (روح) تبعث فيه الحياة، وهذه الروح هي بالذات ما لا يمكن اقتباسه، لأنها لا تتولد إلا من الرؤية الواضحة للنفس وللعالم وللحقيقة، أي من الدين، وهذا هو ما يفتقده نظام التعليم في العالم الإسلامي -اليوم-، فليس لقياداتنا التعليمية-بطبيعة الأمر-رؤية الرجل الغربي، كما أنها باختيارها-أي بسبب الجهل والخمول والسلبية-لا تمتلك الرؤية الإسلامية.

وتهدف أسلمة المعرفة تلك إلى إخضاع العلوم ومناهج البحث العلمي إلى مبادئ محددة، ترى فيها جوهر الإسلام. وتلك المبادئ هي: وحدانية الله، ووحدة الخلق، ووحدة الحقيقة والمعرفة، ووحدة الحياة، ووحدة الإنسانية".

وقد حدد الفاروقي في دراسة له موسومة ب (إسلامية المعرفة: المبادئ وخطة العمل) [ينظر: أحمد داود أوغلو، تحليل مقارن للنماذج المعرفية الإسلامية والغربية، مجلة إسلامية المعرفة، مجلة فكرية فصلية محكمة يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة06، العدد22، خريف1421هـ-2000م، ص 11 وما بعدها.] مفهوم الأسلمة بقوله : " أقصد بأسلمة المعرفة - بالتحديد-أسلمة العلوم، أو بمعنى أوضح، إنتاج كتب دراسية جامعية في نحو عشرين علما طبقا للتصور الإسلامي ".

أولا: المعرفة بين التصور الإسلامي والغربي

المعرفة عند الغرب تقوم على العلمنة وسيادة العقل، بمعنى استبعاد الوحي كمصدر أساس للمعرفة، منطلق أن الدين يجب أن يظل بعيدا عن العلم، ذلك أن" السمة الازدواجية التي تسم التحدي القائم بين العقل والوحي هي سمة ديناميكية للموروث الفكري الغربي. وهي مغامرة بدأت من فكرة عبثية (بمعنى لا عقلانية الوحي)، وانتهت بمحاولة عقلنة المعتقدات ".

وفي موجة الإلحاد الطافح في القرن الماضي برز شعار (لا إله والحياة مادة)، تأكيدا وترسيخا للصراع الذي بدأ في القرون الوسطى بين العلم والكنيسة والملكية.

والناظر في التصور الإسلامي يجد تناغما بين العلم والدين، فأول ما نزل من الوحي الأعلى هي الآيات الأولى من سورة العلق والتي تدعو إلى العلم بوسائله(القراءة والكتابة) فقال تعالى: (اقْرَأْ

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) العلق: 01-05. .إضافة إلى ما توالى بعد ذلك من الآيات والسور الكريمة التي تمجد العقل والعلم والعلماء.

وكذلك السنة النبوية المطهرة مليئة بالأحاديث الشريفة التي تحث على العلم، وتعتبر العلم لون من الجهاد المبرور، الذي ينال صاحبه الدرجات العلا في الدارين، بل وعدّه وريثا شرعا للنبوة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ) رواه الترمذي (برقم: 2682).

وبرغم القطيعة التي انتهجها الغرب مع الدين في بحوثهم العلمية إلا أنهم اهتموا بالتراث الإسلامي تحقيقا وتشويها، والنتيجة كانت أحيانا عكس ما قصدوه، فقد أسلم الكثير منهم لما رأوه من توافق فطري وعملي بين الحقائق العلمية الصحيحة والنصوص الشرعية المعصومة، وقد أغنوا المكتبة الإسلامية بذخائر من كنوز المعرفة، مثل جمع المخطوطات وفهرستها وحفظها، ومثل تأليف المعجمات اللغوية الحديثة، وإنجاز دائرة للمعارف الإسلامية، ومعجم مفهرس لموضوعات القرآن الكريم، ومعجم مفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف، ...وغيرها، بل وقد صرّح الكثير منهم بأنه لولا ظهور الحضارة الإسلامية قبل قرون من الزمان، لتأخرت المدنية الغربية اليوم إلى أزمنة طويلة، وأظهر كتاب في ذلك هو (شمس العرب تسطع على الغرب) للمؤلفة الألمانية زيغريد هونكه. (للمزيد ينظر: محمد عبد الله الشرقاوي، كتابات علماء مقارنة الأديان الغربيين كمصدر معلومات عن الإسلام والمسلمين، ورقة بحثية مقدمة للندوة الدولية عن مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، الرياض، نوفمبر 1999م.)

ثانيا: أسلمة المعرفة مشروع نهضوي إسلامي:

(قراءة في كتاب (نحو مشروع نهضوي إسلامي)، وهو كتاب يمثل أوراق العمل التي قُدمت في المؤتمر الدولي الرابع (نحو مشروع نهضوي إسلامي)، والذي عقده المنتدى العالمي للوسطية بالتعاون مع منتدى الوسطية للفكر والثقافة، ينظر موقع: المنتدى العالمي للوسطية: 2007م. (http: //wasatyea.net/ar).

إن أسلمة المعرفة تعد مشروعا نهضويا إسلاميا يؤكد على أهمية منهج الوسطية والاعتدال بين أبناء أمة الإسلام ذاتها، والتعريف بالإسلام وقيمه الإنسانية لدى شعوب العالم

كافة، والتواصل الحثيث القائم على قيم الحوار والتسامح ونبذ العنف، لرسم منظومة فكرية متكاملة تعتمد الرؤية الوسطية وتشملمناحي الحياة الإنسانية كافة .

كما يؤكددور الأمة في بناء مشروع ﷺضاري معاصر، يستند إلى الأصل، ويواكب العصر في متطلباتﷺ لا في أهوائﷺ وشهواتﷺ، ووضع تصور متكامل لمشروع نهضوي إسلامي يُحدِّد للأمة منطلقاتها ومسارها النهضوي، ليضعها أمام مرﷺلة الشهود الحضاري مستعيناً بكل مكونات الأمة، بعيداً عن أيَّةِ خلافات تبعدنا عن الوصول لهذا الهدف العظيم من خلال البحث في الأصول الثابتة، والمبادئ الأساسية والقواسم المشتركة التي تجمع شمل الأمة، وتحفظ كيانها، وترسم معالم هويتها بين الأمم، من مَعِين الفكر الإسلامي النيِّر، وبالرجوع إلى أعلام الفكر والحضارة الإسلامية الخالدة.

هو مشروعي يظهر أن البشرية العطشى قد وصلت -عبر التجارب التي خاضتها في طريق الشقاءوالمادة- إلى أن الإسلام هو الملاذ .. وأن قيمﷺ كفيلة بإخراج البشرية من وهدتها وشقوتها .. وأن بلورة مشروع النهضة كفيلٌ بأن يفكَّ الاشتباك الجاري في المجتمعات الإسلامية بين العاملين في الحقلالإسلامي، ثم بينهم وبين الأنظمة السياسية الحاكمة .. هذا الاشتباك الذي استنزف طاقاتهم وطاقات الدول والشعوب، وساهم في تأخير ظهور نموذج نهضوي إسلامي. وهو مشروع يُؤسس لمنهجية جديدة في بناء الأجيال ويعمق النظر والتفكير والتحليل والإبداع لمعالجة الواقع، ويؤصل هذا البناء بمخزون قيمي ومعرفي إسلامي ينعكس على مناهج التربية المدرسية والجامعية..ثم هو مشروع إصلاح إعلامي يسعى إلىأخلقة الإعلام، والانطلاق نحو فضاء إعلامي متوازن ملتزم بقيم الأمة وثوابتها، ويقدم -بإذن الله تعالى- خارطة الطريق لمشروع إصلاح سياسي واقتصادي وﷺضاري متكامل.قصد الاسهام في نهضة أمتنا برؤية مبصرة جامعة ننفذ من خلالها إلى فضاءات النهوض الإسلامي المعاصر.

المبﷺث الثاني: الآراء المختلفة بين المؤيدين والرافضين لأسلمة المعرفة

إنّ أسلمة المعرفة عند المدافعين عن هذا المشروع تجعل المرء يستبعد ذلك النّزاع بين المعارف المستقاة من الوحي، والمعارف المستقاة من الوجود، كما تجعلﷺ يبتعد عن تلك الثّنائيات المتصارعة ﷺول أفضلية معرفة عن الأخرى، فأسلمة المعرفة بهذا المفهوم «تعني فكّ الارتباط بين الإنجاز العلمي الحضاري البشري، والإﷺالات الفلسفية الوضعية بأشكالها المختلفة، وإعادة توظيف هذه العلوم ضمن ناظم منهجي ومعرفي إلهي، قائمٍ على الوحي، وغير وضعي، وهذا معناه أسلمة العلوم التّطبيقية والقواعد العلمية، بفهم التّماثل بين سنن هذه العلوم وقوانينها، وسنن الوجود وقوانينﷺ، وتوجيﷺ هذه العلوم الوجهة الإسلامية، وتوظيفها لتحقيق المقاصد الإلهية» (طﷺ

جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي: مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، لبنان، 2009، ص: 119).

فأسلمة المعرفة إذن عملية مقصودة لتوجيه المعرفة بعمومها؛ فكرًا وسلوكًا ونظرًا وتطبيقًا، في ضوء معارف الوحي: قرآنًا وسنةً، والاجتهاد في نصوصه بما تقتضيه «النّظرة الإلهية للإنسان والسّنن والنّواميس؛ بحيث توثّق منه مصادر المعرفة وسبل الحصول عليها أوّلًا، وتفسّر فيه الظواهر المتعلّقة بالإنسان والنّفس والكون ثانيًا؛ لتوظّف المعرفة الناتجة بما يحقّق للمسلم عبوديته المطلقة لله، ومهمة استخلافه للأرض وعمارتها ثالثًا، ولتقدّم الإنسانية المعاصرة مشروعًا ضاربًا جديدًا لحلّ معضلاتها الفكرية والعقدية والاجتماعية والأخلاقية المستعصيّة رابعًا» (نزار العاني، الإسلام وعلم النفس: مسرد لبحوث ودراسات التأصيل الإسلامي لعلم النفس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، لبنان، 2008، ص: 118.)

والهدف من هذه الدّعوة كما صرّح إسماعيل الفاروقي هو: «إعادة صيّاغة المعرفة على أساس علاقة الإسلام بها، بمعنى أسلمتها؛ أي إعادة تعريف المعلومات وتنسيقها، وإعادة التّفكير في المقدّمات والنّتائج المتحصّلة منها، وأن يقوَّم من جديد ما انتهي إليه من استنتاجات، وأن يُعاد تحديد الأهداف، على أن يتمّ كلّ ذلك في إمكانات تجعل تلك العلوم تثري التّصوّر الإسلامي، وتخدم قضية الإسلام، وأعني بها وحدة الحقيقة، ووحدة المعرفة، ووحدة الإنسانية، ووحدة الحياة والطّبيعة الغائيَّة للخلق وتسخير الكون للإنسان، وإدراك الحقيقة وتنظيمها»(إسماعيل راجي الفاروقي، أسلمة المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل، ترجمة: عبد الوارث سعيد، دار البحوث العلمية، الكويت، 1983، ص: 33.)

ولكي تحقق هذه الدّعوة أهدافها لا بدّ أن تقوم في نظر المدافعين عنها على معايير دقيقة، أجمَلَها نزار العاني مدير مركز القياس والتّقويم والتّطوّر الأكاديمي بجامعة البحرين في خمسة عشر معيارًا هي: أن تكون «مخلوقة غير خالقة، غرضيّة غير عبثيّة، تعبُّديّة استخلافيّة، محكومةً بالسّنن الكونيّة، نفعيّة غير ضارّة، وحدويّة غير تجزيئيّة، علميّة غير علمانيّة، دالّة لا يستدلّ عليها، مفسّرة غير معلّلة بالضّرورة، ظاهرة غير باطنة، مهيمنة غير تابعة، مسخَّرة غير مسخِّرة، مرجعيتها لله غير وضعيّة، مؤمنة بالغيب، توكُّلية غير تواكليّة»(نزار العاني، محددات أولية لمنهجية أسلمة المعرفة: نظرة مضافة، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، السنة الثانية، العدد الثالث، فبراير 1988، ص: 125.)

وفي مقابل هذه النّظرة الإيجابية والمتفائلة من قضية «أسلمة المعرفة»، ظهر تيّار آخر نبذ هذا المشروع بدعوى أنّنا لا نجد لدى المسلمين القدامى تصنيفًا للعلوم على أساس ديني، وإنّما

صنّفوها بحسب المنهج؛ كقسمتها إلى عقليّة ونقليّة، أو برهانيّة وعِرفانيّة، أو من ﷺيث الزّمن كقولهم علوم الأوائل وعلوم الأواخر، والتّمييز في النّهاية بين من يعلَم ومن لا يعلَم كما تشير الآية القرآنية: [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] سورة الزمر، الآية: 9.

كما أنّ العلم يُطلب بصرف النّظر عن قائلﷺ، ويؤخذ من أيّ مصدرٍ كان، من فارس أو من الإغريق، من الهند أو من الصين، المهم في هذا كلّﷺ هو أن يستوفى معاييره من الدقّة، والإﷺكام أو اللّزوم، والضّرورة أو العموم، والكلّية.

كما ذهب أنصار هذا التيّار -الرافض لهذا المشروع- إلى أنّ القول بإسلامية المعرفة «هو نقيض الإبداع، بمعنى أنّﷺ يعرقل نشاط الفكر الخلّاق بقدر ما يحول دون تطوير العلوم والمعارف، أو دون تجديد المفاهيم والمناهج، ذلك أنّ الصّفة الإسلامية لا تشير هنا إلى مجرّد إطار لحصر موضوع الدّرس، وإنّما تُغلِّب الاعتبارات الأيديولوجية، فلا يُعقَل أن ندعو إلى أسلمة المعرفة، فيما الغربيون يؤلّفون ﷺول نماذج المعرفة وأنظمتها، أو ﷺول عمّال المعرفة واقتصاد المعرفة، أو ﷺول المعرفة والمصلحة، وهذا ما فعلﷺ القدامى من المسلمين الذين طوّروا العلوم التي أخذوها عن اليونان، فأنتجوا معارف غزَوا بها العالم فكريًّا، وتصدَّروا واجهة العمل الحضاري لقرونٍ طوال، ولقد استخدموا في ما أنتجوه المعارف التي أنتجها الأوائل كمُعطَيَات لإنتاج علوم جديدة»(انظر: علي ﷺرب، الإنسان الأدنى: أمراض الدين وأعطال الحداثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 2010، ص: 162-163.).

وللتّأكيد على خطورة هذا المشروع ذهب مجموعة من البا ﷺثين إلى أنّ المنادين بأسلمة المعرفة إنّما يبغون من وراء ذلك مجموعة من الأهداف في مقدّمتها: الإيحاء بأنّ الشّريعة الإسلامية لم تتمّ، ومعاندة الشّرع ومضاهاة الشّارع، وتلبيس الحقّ بالباطل، والزّيادة في الدّين، وطلبٌ للشّريعة بما هو غير أداة لها، والخروج على مقتضى وضع الشّريعة التي جاءت للعموم، وإ ﷺداث ما لم يكن عند الأوّلين.

إنّ القول بأسلمة المعرفة هو تراجع عن عالميتها والتي مارسها في ما مضى العلماء والفلاسفة المسلمون؛ سواء بتطوير العلوم التي نقلوها عن الأوائل، أو بافتتاح فروع و ﷺقول جديدة، ولتدارُك التحيُّز الذي يوحي بﷺ مصطلَحُ «الأسلمة»، استبدل بعض العلماء هذا المصطلح بمصطلحات أخرى، من قبيل أسلمة النّفس، أو و ﷺدة المعرفة، أو تكامل المعرفة؛ وفي هذا الصّدد يقول محمد رمضان سعيد البوطي في انتقاده لهذا المصطلح: «نقول: أسلمة النَّفْس؛ لا أسلمة الْمَعرفة، غيْر أنَّ هذه الحقيقة وإنْ كانت ثابتةً دون رَيْب، لا تستدعي رفْعَ ذلك الشِّعار الذي قد يَخْطر بالبال لأوَّل وهلة، وهو «أسلمة الْمَعرفة»؛ ذلك أنَّ الإسلام لا يتطلَّب أكثَرَ مِن أن تكون

المعرفةُ معرفةً صحيحة، صافيةً عن الشَّوائب، وبعيدةً عن التحيُّز إلى أيّ جهة قد تُبْعِدها عن ميزاتِها العِلْميَّة الْحِياديَّة، إنَّ التعبير بِ«أسلمة المعرفة» يوحي بِفَرض تَحيُّزٍ ما على النَّشاط المعرفي للفِكر، وهو ما تنأى عنه طبيعةُ منهج المعرفة من حيث هو»(انظر: المعهد العالَمي للفكر الإسلامي، المنهجيَّة الإسلامية والعلوم السُّلوكية والتّربوية، واشنطن، الطّبعة الثّانية، 1994، ص: 94.).

كما استعمل أبو سُلَيمان، وهو من كبار مؤسِّسي مَشْروع «أسلمة المعرفة»، مصطلح «وحدة المعرفة الإسلامية» للخروج من هذا التّحيّز؛ يقول: «ومضَتْ بِي سنون في التّدريس الجامعيّ، بذلْتُ فيها جهدي؛ لكي أُجَسِّد رؤيةَ منطلقات إصلاح الفِكْر والوجدان، والتي هي رسالةُ الْمَعهد وغايته؛ وذلك انطلاقًا من مُواجهة «أزمة الفِكْر الإسلامي» بواسطة تَحْقيق «وحدة المعرفة الإسلاميَّة»؛ نصوصًا ورؤية، وقِيَمًا ومفاهيمَ، وعِلمًا اجتماعيًّا وحياتيًّا، وتَجسيدًا للفطرة الإنسانية السَّوية، والسُّنن الكونيَّة واقعًا زمانيًّا ومكانيًّا، ومُواجهة أزْمة الإرادة والوجدان للمُسْلم، التي تكمن في مَجال التّربية ووجدان الطُّفولة» (عبد الحميد أبو سفيان، الرؤية الكونية، الحضارة القرآنية، المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، 2008، ص: 9-10.).

إنّ تغيير مصطلح «أسلمة المعرفة» بمصطلح «أسلمة النّفس»، أو «وحدة المعرفة» لا يُزيل الإشكال، بل يعمّقه أكثر ممّا سبق؛ لأنّ «وحدة المعرفة» تعني جمع كل المعارف غثّها وسمينها في بوتقة واحدة، صحيح أنّ الإسلام يدعو إلى المعرفة ويحض عليها، ولكن المعرفة التي فيها خير للإسلام والمسلمين، ومصطلح «وحدة المعرفة» في حدّ ذاته لا يترك حدًّا فاصلًا للتّفريق بين ما هو سلبي يجب الحذر منه، وما هو إيجابي يجب التّمسّك به، إلّا إذا حوصر هذا المصطلح بالرؤية الإسلامية.

وللخروج من هذا المأزق لا بدّ أن نؤمن بأنّ المعرفة يجب أن تكون تكامُليّة كما كانت في العصور الأولى، والتي تجسّدت في العقل الموسوعيّ الشّامل لشتّى المعارف؛ منها ما يتعلّق بالوحي، ومنها ما يتعلّق بالكون، ومنها ما يتعلّق بالإنسان، ومنها ما يتعلق بالواقع المعيش ومتغيّراته الإنسانية؛ لذلك أضحى في الوقت الرّاهن -المتّسم بالتّطور السّريع، والمتشعّب بتعدّد التّخصصات الدّقيقة- الإلمامَ بشتّى العلوم، والإيمانَ بتكاملها، وعدم حصر المعرفة في قالب أو أيديولوجية معينة.

والحاجة الماسَّة إلى القراءة في مثل هذه العلوم، راجعةٌ كذلك إلى خطورة ما ورد على هذه العلوم من الغَرْب في قوالِبَ لا تُناسب أهل الإسلام، فالنَّقد الأساسيُّ الذي يوجَّه للعلوم التَّربوية والنفسيَّة والاجتماعيَّة أنَّها نشأَتْ في بيئاتٍ جاهليَّة علمانيَّة لا دينَ لَها، جعلَتِ الإلْحاد منهجيَّةً ينطلق منها، وإنْ سلَّمْنا بصِحَّة بعْضِ ما فيها لن نَرْكن إلى صحَّة جُلِّ ما يَنْتج عنها، وهذا يُلْزم الأُمَّة

بناءَ ⍰صانتها العلميَّة من مصادرها؛ كيما تصفي الغثَّ من السَّمين ⍰ال انتفاعها بعلوم غيرها، فتأخذ ما ينفعها ويناسبها، وتَردّ ما ليس منها.

⍰يث أن المتدبّر لكتاب الله تعالى يَجِد العلم في⍰ يدور في الغالب على مَحاورَ ثلاثة، لا يكاد يتجاوَزُها إلى غيرها:

- أوَّلُها: ما يتعلَّق بتو⍰يد الله تعالى في ربوبيَّتِ⍰ وألوهيت⍰، وأسمائ⍰ وصفاتِ⍰، وما يتعلَّق بِها من قضايا العبادة.
- وثانيها: ما يتعلَّق بقضايا الكون، وما أودع الله في⍰ من الحِكَم والأسرار، وما يَحْكم⍰ من سنن وقوانين ونواميس، يسير من خلالِها في دِقَّة متناهية.
- وثالثها: ما يتعلَّق بأ⍰وال الأُمَم من ⍰يثُ منظومةُ علاقاتِها بالخالق والمخلوق.وكلُّ بُعْدٍ من هذه الأبعاد تتعلَّق ب⍰ علومٌ متخصِّصة:
  - فالبُعْد الأول: تتعلَّق ب⍰ علوم الشَّريعة على اختلاف تَخصُّصاتِها، على أن يكون بين المسلمين من هذه العلوم قدْرٌ مشترك لا يُعْذَر أ⍰دٌ بِجَهل⍰، ثم يكون ما بقي ميدان اجتهاد ومُنافسة بين أهل العلم في⍰.
  - والبُعد الثانِي: تتعلَّق ب⍰ العلوم الطبيعيَّة على اختلاف تخصُّصاتها.
  - والبُعد الثالث: تتعلق ب⍰ العلوم الإنسانية على اختلاف تخصصاتها كذلك"(خليل بن عبدالله الحدري: "منهجية التفكير العلمي"، دار عالم الفوائد: مكة المكرمة، ط 1، 2005، ص89/88.).

على أن المتخصِّصين في هذه العلوم كلها ⍰ين يُريدون بِها وجْ⍰ الله تعالى تَكُون لَهم ضرْبًا من العبادة، وهو ما يدْعو المسلمَ إلى الإبداع، ⍰ين يَشْعر في قرارة نفْسِ⍰ أن⍰ يُمارس هذه الفُنون وهو مأجورٌ عند ربِّ⍰، مسدَّدٌ في دنياه وآخرت⍰، .وهذه الصُّورة هي التي تعطي شُموليَّةً للعلم في القرآن الكريم، فلا مادِّية مُلْحِدة، ولا لاهوتيَّة رَهْبانيَّة مُغالية في المثاليَّة، فالتَّوازُن من خِصال التوسُّط والوسطيَّة في القرآن الكريم، ومدلول العبادة واسعٌ في الإسلام، و"يشمل ثلاثةَ مظاهر: مظهَرٌ شَعائري، ومظهر اجتماعيّ، ومظهر كَوْني:

- أمَّا المظهر الشَّعائري، فهو يتمثَّل في شعائِرَ ومُمارساتٍ ترمز إلى أشكال الْحُبِّ والطَّاعة التي يَعْبد بِها الإنسانُ الخالقَ.
- وأمَّا المظهر الاجتماعي، فموضوع⍰ الثَّقافة والقِيَم، والعادات والتقاليد، والقوانين والنُّظم.

وأمَّا المظهر الكونيُّ للعبادة، فموضوع⍰ العلومُ الطبيعية التي توفِّر للعالِمِ الْمُسلم دخولَ مُختبر الآفاق، وإبرازَ معجزات العصر وبراهينِ⍰، وتوفيرَ الشَّواهد التي تكشف عن عظيمِ صُنْعِ الله

وقدرتﷺ، وتُقْنِع الْمُتعلِّم الجديدَ والأجيال الجديدة بوجوب مَحبَّة الخالق مَحبَّةً كاملة، وطاعتِﷺ طاعةً كاملة."(ماجد الكيلاني عرسان: "فلسفة التربية الإسلامية"، مكتبة هادي: مكة المكرمة، ط 2، 1409هـ، ص 86/85).

واقترح طﷺ عبدالرﷺمن استبدال "أسلمة المعرفة "بـ "التقريب"؛ اقتداءً بالإمام ابن ﷺلزْم الظَّاهريّ في كتابﷺ" التقريب لعلوم المنطق"، وقد وضَع آخَرُون مصطلحَ" تكامُلِ المعرفة "؛ لِتَدارُك التحيُّز الذي يوحي بﷺ مصطلَحُ" أسلمة".

- ومصطلح " أسلمة المعرفة "كان المرادُ منﷺ جعْلَ العلوم في خدمة التَّوﷺيد والإيمان، وجعْلَ العلوم كلِّها لِنُصرة ﷺقائق الإسلام، الكامن في الكتاب والسُّنة، وتَجْلِيةَ الإعجاز العلميّ، وتَقْعيدَ العلوم الإنسانيَّة على ضوابطِ العقيدة الإسلاميَّة، والتَّحاكُمَ لأُولي العِلْم من المسلمين فيما اختلفوا فيﷺ، بعد أن صارَت العلوم تُوجَّﷺ للطَّعْن في الإسلام والعقائدِ المو ِّدة، بل صارَتْ في خدمة الإلحاد ومركزيَّة الإنسان .

ومِمَّن استعمل مصطلحَ "وﷺدة المعرفة " أبو سُلَيمان، وهو من كبار مؤسِّسي مَشْروع "أسلمة المعرفة"، ولا أُﷺمِّل النصَّ فوق ما يدلُّ؛ فالسِّياق مفهومِيٌّ لا اصطلاحي؛ أي: الْمُركَّب استُعْمِل في سياق الكلام كمفهومٍ لا مصطلح، قال في أ ﷺد مؤلَّفاتﷺ: "ومضَتْ بِي سنون في التدريس الجامعيّ، بذلْتُ فيها جهدي؛ لكي أُجَسِّد رؤيةَ منطلقات إصلاح الفِكْر والوجدان، والتي هي رسالةُ الْمَعهد وغايتﷺ؛ وذلك انطلاقًا من مُواجهة " أزمة الفِكْر الإسلامي "بواسطة تَحْقيق وﷺدة المعرفة الإسلاميَّة؛ نصوصًا ورؤية، وقِيَمًا ومفاهيمَ، وعِلمًا اجتماعيًّا وﷺياتيًّا، وتَجسيدًا للفطرة الإنسانية السَّوية، والسُّنن الكونيَّة واقعًا زمانيًّا ومكانيًّا، ومُواجهة أزْمة الإرادة والوجدان للمُسْلم، التي تكمن في مَجال التربية ووجدان الطُّفولة؛ وذلك بالعناية بِمَجال" التربية وبرامِجِها وأدبيَّاتِها بالدرجة الأولى" (عبدالحميد أبو سليمان: "الرُّؤية الكونيَّة الحضارية القرآنيَّة المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني"، 2008.).

- فالقرآن الكريم يُقرِّب معارِفَ السابقين، ويَدْعو إلى إقامة وَﷺدةٍ لِمَعارف الوحي، مع اعتمادِه أسلوبَيِ التَّصديق والْهَيمنة، وذلك بأن يُوافِقَ كلَّ معرفةٍ فيها لَم يطرأ عليها تحريفٌ أو انتحال " مِن غيْر أن يعني ذلك التَّصديقُ أو تلك الْهيمنةُ التوقيعَ على كلِّ معرفةٍ فيها، بِقَطع النَّظَر عن سلامتها من الخطأ، بل يُعمِل فيها منهجﷺ التقديريَّ التمحيصيَّ؛ كي يتميَّز السليم فيها من الْمُنحرف، في صورة عمَليَّة استرجاعيَّة، شاملةٍ لذلك الميراث، تتضمَّن نقْدَه، وتَحليلَﷺ، وتطهيرَه مِمَّا أُلْحِق بﷺ من إضافاتٍ واجتهادات تتنافَى مع مضمونﷺ" (طﷺ العلواني: "منهجيَّة التعامل مع

التُّراث" حوار مع صحيفة "المستقِلَّة"؛ نقلاً عن: أحمد محمد حسين الدغشي: "نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتُها التربوية"، دار الفكر: دمشق، ط (1)، 2002، ص 132.).

الخاتِمة:

ونخلص في ختام هذا البحث أنه ينبغي فهم أسلمة المعرفة على أنها محاولة للجمع بين القراءتين: قراءة الوحي المنزل وقراءة الكون الطبيعي، في إطار عمل متماسك ومندمج وكامل في مساعدته للعقل البشري في إدراك المعنى بفطنة ووضوح، وكذا إدراك السبيل لحياة أخلاقية، مبنية على فهم معرفي يرمي إلى ريادة الجنس البشري إلى أثمن مصادر المعرفة أو أكثرها موثوقية، تلك المصادر المتغافل عنها والمهملة، والبعيدة عن المتناول فيما يبدو الآن، وينبغي في ضوء التفسير السابق أن يكون من الواضح أن مهمة الأسلمة موجهة إلى الجنس البشري كله وليست قاصرة على المسلمين وحدهم، إنها في الحقيقة حيوية بالنسبة لغير المسلمين بقدر ما هي حيوية للمسلمين أنفسهم.

وعلاوة على ما سبق، فيجب الاعتناء بقراءة الوجود الطبيعي في ضوء الوحي، وأن نحميه من كل الشرور وأوجه التناقض الناجمة عن الانغماس في تلك الحضارة التي عرفها العالم في الماضي والحاضر، والتي أسست صرحها على قراءة مسار واحد، وذلك –عادة- بقراءة الوجود المادي أو الطبيعي، مع التغافل عن القراءة المستقاة من الهدي المنزل بنوره وروحانيته وحقيقته الأخلاقية.

المراجع:

*القرآن الكريم.

1-محمد أسامة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، المشروع والفكرة، موقع إضاءات.
https: //www.ida2at.com/international-institute-of-islamic-thought-project.

2- الموقع الرسمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي: https: //iiit.org/ar.

3- ينظر: أحمد داود أوغلو، تحليل مقارن للنماذج المعرفية الإسلامية والغربية، مجلة إسلامية المعرفة، مجل فكرية فصلية محكمة يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة06، العدد22، خريف1421هـ-2000م.

4-محمد عبد الله الشرقاوي، كتابات علماء مقارنة الأديان الغربيين كمصدر معلومات عن الإسلام والمسلمين، ورقة بحثية مقدمة للندوة الدولية عن مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، الرياض نوفمبر 1999م.

5- قراءة في كتاب (نحو مشروع نهضوي إسلامي)، وهو كتاب يمثل أوراق العمل التي قُدمت في المؤتمر الدولي الرابع(نحو مشروع نهضوي إسلامي)، والذي عقده المنتدى العالمي للوسطية بالتعاون مع منتدى الوسطية للفكر والثقافة عام2007م، ينظر موقع: المنتدى العالمي للوسطية:http: //wasatyea.net/ar.

6- طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، لبنان، 2009م.

7- نزار العاني، الإسلام وعلم النفس: مسرد لبحوث ودراسات التأصيل الإسلامي لعلم النفس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، لبنان، 2008م.
8- إسماعيل راجي الفاروقي، أسلمة المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل، ترجمة: عبد الوارث سعيد، دار البحوث العلمية، الكويت، 1983م.
9- نزار العاني، محددات أولية لمنهجية أسلمة المعرفة: نظرة مضافة، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، السنة الثانية، العدد الثالث، فبراير 1988م.
10- علي ﷺرب، الإنسان الأدنى: أمراض الدين وأعطال الحداثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 2010م.
11- المعهد العالَمي للفكر الإسلامي، المنهجيَّة الإسلامية والعلوم السُّلوكية والتَّربوية، واشنطن، الطّبعة الثَّانية، 1994م.
12- عبد الحميد أبو سفيان، الرؤية الكونية، الحضارة القرآنية، المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، 2008م.
13- خليل بن عبد الله الحدري، منهجية التفكير العلمي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط 1، 2005م.
14- ماجد الكيلاني عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، مكتبة هادي: مكة المكرمة، ط2، 1409هـ.
15- عبد الحميد أبو سليمان، الرُّؤية الكونيَّة الحضارية القرآنيَّة المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني"، 2008م.
16- طﷺ العلواني، منهجيَّة التعامل مع التُّراث، ﷺوار مع صحيفة"المستقِلَّة"؛نقلاً عن: أ ﷺمد محمد ﷺسين الدغشي: "نظريةالمعرفة في القرآن الكريم وتضميناتُها التربوية"، دار الفكر، دمشق، ط (1)، 2002م،